

الحديث 1 : إذا فسد أهل الشام

الحديث الأول :

- وقال الإمام أحمد - رحمه الله - (ج 5 ص 34) : ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثني معاوية بن قرة عن أبيه عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : " إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ، ولن تزال طائفة من أمتي منصورين ، لا يضرُّهم من خذلهم حتى تقوم الساعة " . هذا حديث صحيح ، وقد أخرجه الترمذى .

- وقال الإمام أحمد - رحمه الله - (ج 5 ص 35) : ثنا يزيد أنا شعبة ، به .

- وقال أبو بكر بن أبي شيبة - رحمه الله - (ج 12 ص 191) : حدثنا يزيد بن هارون عن شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم : - " إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم " .

والطائفة المنصورة ، قد قال البخاري - رحمه الله : - إنهم أهل العلم . وقال الإمام أحمد : إن لم يكونوا أهل الحديث ، فلا أدري من هم . والحديث وإن لم يكن نصاً على ما قاله الإمام البخاري والإمام أحمد ، فإن أهل الحديث داخلون دخولاً أوّلّاً ! لشباتهم على الحق ، وخدمتهم الإسلام والذب عنه ، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

الشرح :

الفساد معروف ، وهو ضد الصلاح ، والمراد بالفساد فساد الدين ، بدليل آخر الحديث ، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم فساد أهل الشام علامة على فساد أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه يبيّن أن هذا الفساد ليس عاماً ، بل ستبقى جماعة من أمته على الحق إلى قيام الساعة . والمراد بالشام هنا ما يسمى اليوم بالأردن وفلسطين وسوريا ولبنان ، مع اختلاف يسير في حدود هذه الدول مع الدول المجاورة لها .

والطائفة المنصورة : هم أهل الحديث كما نصّ على ذلك غير واحد من علماء السلف - رضي الله عنهم - منهم يزيد بن هارون وعبد الله بن المبارك ، وعلي بن المديني ، وأحمد بن حنبل . ذكرهم الخطيب البغدادي في " شرف أصحاب الحديث " (1) . أما البخاري فقال مرة " أهل العلم " (2) ، ومرة قال : " أهل الحديث " (3) ولا تعارض بين قوله : فأهل العلم في زمانه هم أهل الحديث كما أشار إلى ذلك في كتابه " خلق أفعال العباد " (ص 60 - 61 ، المعرف) . والمراد بأهل الحديث : علماء السلف المختصون بالحديث تعلّماً وتعلّمًا ، الذين كانوا على منهج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولم يغيّروا ولم يبدّلوا . وقد ذكر جماعةً منهم الإمام البخاري في " خلق أفعال العباد " (ص 61 ، المعرف) ، ويدخل في ذلك كل من كان على منهجهم وعقيدتهم . وظهورهم يكون بالحجّة والبرهان ، وقمع شبهات أهل الكفر والنفاق والبدع ، يدل على ذلك وصفهم بالعلم ، وبأهل الحديث . وهو أحد الجهادين شرعاً هم الله - تبارك وتعالى . - ولا يصح أن يفهم هذا الحديث على معنى الظهور بالسيف ؛ فإن ظهورهم على الناس بالسيف يقتضي إصلاح الناس ، وقمع الفساد ، وإشارة الحديث تدل على أنهم غير قادرين على ذلك في بداية الأمر ، وتفسير العلماء لمعنى هذه الطائفة لا يساعد على هذا المعنى ، علمًا أنه لا يمنع ذلك ظهورهم بالسيف في بعض الأحيان ؛ إذا توفرت أسبابه ودواعيه والقدرة عليه . ولكن الأصل الدائم هو ظهورهم بالحجّة والبيان ، كما هو الحال في هذا الزمان . وفي رواية عند مسلم في " صحيحه " (4) عن سعد بن أبي وقاص : " لا يزال أهل الغرب " . والراجح من كلام أهل العلم أن المراد بأهل الغرب هم أهل الشام ، والذي جعلنا نرجح هذا القول دون غيره ؛ لأنه قول معاذ بن جبل الصحابي الجليل ، والصحابة أعلم بمراد النبي صلى الله عليه وسلم ، وخاصة إذا كان الصحابي راوي الحديث ، وهو قول الإمام أحمد واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله . والمراد من ذلك - والله أعلم : - أن الطائفة المنصورة عند فساد الناس لا ينقطع وجودها وظهورها في بلاد الشام ، ولا يعني ذلك أنهم لا يوجدون في بلاد أخرى . وفي الحديث إشارة إلى أنه سيأتي في الناس من يخالفهم ويحاربهم ، ومن يخذلهم ولا ينصرهم ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم بشرهم بأنهم دائمًا منصوروه معانون من الله تبارك وتعالى .

وفي الحديث دلائل على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم :

الدليل الأول : أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما تحدث بهذا الحديث كان أهل الشام كفاراً ، والكفر أكبر أنواع الفساد ، ففي هذا الحديث إشارة إلى أنهم سيدخلون في دين الله ويصلحون بعد فسادهم، وقد حصل ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم .

الدليل الثاني : إخبار النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفسد بعد صلاحها ، وسيكون آخر الناس فساداً أهل الشام ، وقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم تمام الواقع .

الدليل الثالث : إخباره صلى الله عليه وسلم أن دين الله الذي أتى به سيفي قائماً بقيام الطائفة المنصورة به ، وبالحفظ عليه ، والذب عنه ، وتنقيته من شوائب الشرك والبدع . وهذا هو الواقع ؛ ففي وقت صلاح الناس ، كان الدين قوياً منيعاً عند أكثرهم ، وبعد فسادهم وكثرة أهل الشقاق والبدع بينهم، بقي فيهم طائفة تدافع وتذبذب عنه ، وتصفي الشوائب التي تعلق به .

ولا أعلم طائفة اليوم تقوم بواجب تصفية الدين من الشرك والبدع والخرافات وأراء الرجال البعيدة عن الكتاب والسنة ، ونصح المسلمين بالتمسك بهما ، وما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان ؛ والبعد عن الحزبية وتفريق الأمة ؛ كالعلماء وطلبة العلم الذين هم على منهج أهل الحديث وعقيدتهم وعلى منهج سلف هذه الأمة وعلى رأسهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ؛ مثل :

الشيخ عبد العزيز بن باز ،

والشيخ محمد ناصر الدين الألباني ،

والشيخ محمد بن صالح العثيمين ،

والشيخ مقبل بن هادي الوادعي ،

وغيرهم من علماء المسلمين الذين على منهج أهل الحديث الذي كان عليه الإمام مالك والشافعي وأحمد وغيرهم . ولا يخلو إنسان من خطأ ، فإياك أن تتخذ زلتهم سلماً للطعن فيهم قبل أن تنظر إلى ما قدموه للإسلام والمسلمين . ومن تأمل في كتابات هؤلاء العلماء وأشرطتهم ودروسهم ؛ وجد أنها تقوم على تعليق الناس بالكتاب والسنة ، وتقديمها على كل ما سواها ، واتباع المنهج الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، ووجد أنهم يحدرون ويتكلمون فيمن وجدوا في كلامه ما يهدم أصلاً من أصول الإسلام أو يخالف دليلاً واضحاً من الكتاب والسنة (5) ، وما ذلك منهم إلا لحرضهم على بقاء الإسلام صافياً نقيراً لا يدخله خلل ولا زيف . فلو أنهم سكتوا وسكت غيرهم لضاعت أصول دين الإسلام وأحكامه بين هو فلان وخطا الآخر ، فجزى الله خيراً علماءنا الأفاضل على ما واجب النصح لكتاب الله ولسنته نبيه صلى الله عليه وسلم ولائمة المسلمين وعامتهم .

ومراد شيخنا من ذكر هذا الحديث في هذا الباب ؛ بيان فضيلة أهل العلم من أهل السنة والجماعة على غيرهم من الناس ؛ إذ إنهم أصل الطائفة المنصورة التي يبشر بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأي فضل خير من التمسك بالدين والحفظ عليه ، وهو عمل الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم . كما نبه على ذلك في آخر كلامه - رحمة الله .

رجال الإسناد الأول :

· يحيى بن سعيد : هو يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي ، أبو سعيد البصري الأحوج الحافظ . ثقة ثبت إمام كبير حافظ ، علم من أعلام أهل الحديث ، من رجال الجرح والتعديل ، لا يروي إلا عن ثقة . قال الإمام الذهبي : " إلأ أنه متعمّت في نقد الرجال ، فإذا رأيته قد وثق شيئاً ، فاعتمد عليه ، أما إذا لين أحداً ، فتأن في أمره حتى ترى قوله غيره فيه ، فقد لين مثل : إسرائيل ، وهمام ، وجماعة احتج بهم الشیخان " (6) .

· شعبة : هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأردي ، أبو بسطام الواسطي البصري . ثقة ثبت إمام كبير حافظ ، علم من أعلام أهل الحديث ، من رجال الجرح والتعديل .

· **معاوية بن قرة** : هو معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رئاب المزني ، أبو إياس البصري والد إياس بن معاوية ، تابعي روى عن جماعة من الصحابة . ثقة.

· **والد معاوية** : هو قرة بن هلال بن رئاب المزني ، أبو معاوية . قال الإمام البخاري وابن السكن : " له صحبة " (7).

رجال الإسناد الثاني الذين لم يذكروا في الإسناد الأول :

· **يزيد بن هارون** : هو يزيد بن هارون بن زادان السُّلْمِي مولاهم ، أبو خالد الواسطي . ثقة حافظ متقن عابد .

تابع يزيد وغيره يحيى بن سعيد على رواية هذا الحديث عن شعبة عن معاوية ، ولم يتفرد به شعبة عن معاوية فرواه عن أبيه ، أخرجه أبو نعيم في " الحلية- 231 ، الكتاب العربي) ، فقال : " مشهور من حديث إياس ، غريب من حديث مسخر " .

وتابعه صدقة بن المتصدر أبو شعبة الشعبياني عند الفسوسي في " المعرفة والتاريخ " (170/2) ، وابن حبان في " الثقات " (8/319). ولكن الإسماعيلي في " مجمع أسامي شيوخه " (2/679) - العلوم والحكم) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في " تاريخه " (8/10) رواه عن صدقة بن المتصدر عن شعبة عن معاوية، فأدخل شعبة بين صدقة ومعاوية . والله أعلم .

وقد ادعى ابن عساكر في " تاريخه " (1/307) أن شعبة تفرد به بعد أن ساق له عدّة طرق ، وهو مردود بكلام أبي نعيم المقدم . وعلى كل حال ، فالحديث صحيح لا غبار عليه ، وله شاهد من حديث ابن عمرو عند ابن عساكر (1/308) وغيره ، ولكنه حديث منكر ، خرجه الشيخ الألباني في " الضعيفة " (6385) . وله شاهد كثيرة ، بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية في " الاقتضاء " (1/6) - السنة المحمدية) وغيره : إنه متواتر .

و الحديث قرّة ؛ صححه الترمذى ، وابن حبان ، والألباني - رحمهم الله . - والله أعلم

(1)) - ص10 و25 و26 و27، دار إحياء السنة النبوية) .

(2) - انظر " صحيح البخاري " (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ، باب (10) قول النبي صلى الله عليه وسلم " لا تزال طائفة .. " ص 1259 ، دار السلام .

(3) - انظر " شرف أصحاب الحديث " (ص27 ، دار إحياء السنة) للخطيب البغدادي .

(4) - برقم : (1925) .

(5) - بضوابط معلومة ليس هذا موضع ذكرها .

(6) - سير أعلام النبلاء " (9/183) .

(7) - الإصابة في تمييز الصحابة " (5/433 - الجيل)

(8) - وأخرجه ابن عساكر (37/201) من غير طريق الإسماعيلي .

